المقتطف ٧

الجزء الأول من المجلد الخامس عشر بعد المئة

١ يونيه سنة ١٩٤٩ — ٤ شعبان سنة ١٣٦٨

طوفان القدم

صراع بين اللاهوت والعلم

— ٤ —

انتصار العلم

الجهد الأخير في سبيل التوفيق واكتمال النصر للعلم

جهاد كارل فون روسمر وبجنر وغيرهما — الشهادة الوافية التي نمت عنها الكهوف والتيمان الزاحفة في قدم الانسان — جهاد جوس في سبيل انقاذ التفسير الحرفي لسفر التكوين — جهود اللاهوتيين في القارة الاوربية — محاولة غلادستون في سبيل التوفيق — هكسلي وكانن درايفر يقضيان على هذه المحاولة — الأسقف ستنلي والمهادنة بين العلم والكتب المقدسة .

قبل أن ندخل في ختام هذا البحث، يحسن بنا أن نمضي قليلاً في الكلام في بعض محاولات أملاها اليأس ودفع إليها القنوط، رمى بها أولئك الذين حاولوها، الوصول الى هدنة أو تفاهم. وهي ظاهرة نأنسها دائماً عند ما يقترب وقت انتصار العلم في أي عراك له مع الدين، ويلوح انتصاره فيه محتوماً واقعاً. من هذه المحاولات بل ومن أخصها ما قام به كارل فون «رومر» سنة ١٨١٩ . فبكثير من دعوى

المعرفة العلمية التي تختفي وراءها أغراض وآمال حددتها اللاهوتية الجرمانية ، جهد محاولاً أن يؤلف مقالة فيها من الغموض والتعمية بحيث يمكن أن يغشى على حقائق المشكلات العلمية . ظهرت هذه المقالة في صورة نقاش كان قد لجأ بعضهم إليه من قبل ، ليبرهنوا به على أن الحفريات التي عثر بها في الطبقات الفحمية لم توجد قط حية ، وانما هي « نتيجة نماء أجنة نباتات ناقصة » . وهذه النظرية بذاتها ، على غموضها وعمائها ، قد اتخذت سبيلاً الى تعليل الحفريات الحيوانيـة ، من غير أن تنظر بأي اعتبار الى الأدوار الزمانية المتطاولة ، والتغايرات التي يثبت العلم الجيولوجي أن هذه الحفريات قد تقلبت فيها حتى وصلت الى حالها الحاضرة .

في سنة ١٨٣٧ نزع « بجفر » الى الأخذ بهذه النظرية أو بالحري هذا التفسير . ولكن سطحيته وغثاثته ، كانت من الظهور بحيث اعتقد الناس أن مقولاته ليست أكثر من عبارات خاوية فارغة ، لا تحمل من الحق شيئاً ، وسرعان ما رفضت وأضيفت الى المنسيات .

في انحاء مختلفة من أوربا ، قامت محاولات أخرى مشابهة لهذه . ولقد شهدت انجلترا أعظم هذه المحاولات وأكثرها إثارةً للذهن . في سنة ١٨٥٣ نشرت رسالة بعنوان « النقض الصريح لنظرية الجيولوجيين المنافية للأناجيل » ، أحيا فيها مؤلفها نظرية قديمة قث فيها روحاً جديدة . أما هذه النظرية فتتلخص في قوله « إن كل العضويات التي يعثر بها في أعماق الأرض قد صنعت في اليوم الأول من أيام الخلق ، لكي تتخذ نماذج للنباتات والحيوانات التي سوف تخلق في الثالث والخامس والسادس من تلك الأيام » .

وبينما كانت هذه المحاولات على أشدها ، وقد رمت جميعاً الى صون النظرية القديمة في الحفريات ، ظهر على مسرح الفكرة الحديثة في الجيولوجيا ، زمرة جديدة

من العلماء كانت أشد خطراً وأنكى أثراً على العقائد القديمة من كل من تقدمها من زمر الباحثين.

في أواخر الربع الاول من القرن التاسع عشر، بدأ الجيولوجيون ينقبون في الكهوف والقيعان التراكيبية في سطح الأرض. وبعد ستين ثلاثل ظهرت منظومة من المستكشفات بدأت في فرنسا ثم في بلجيكا وانجلترا والبرازيل وصقلية والهند ومصر وأمريكا، فكان من شأنها أن تدعم حقيقة أن الارض أهلت بالانسان منذ أزمان أوغل في القدم من الأزمان التي قدرت لذلك من قبل. أما التأريخات التي وضعها رئيس الأساقفة «يوشر» و«بوسويه» و«بيتافيوس» وغيرهم من أعلام اللاهوتيين، فقد وضح أنها فاقدة القيمة ولا غناء فيها. ولقد بان بجلاء أنه مهما يكن من أمر تلك المذاهب واستنادها الى تأريخات العهد القديم وتراجم البطارقة، فإنما هي في حكم العدم. ولقد اضطر أكثر الجيولوجيين جنوحاً الى المحافظة والاعتدال الى الاعتراف بأن الإنسان قد ظهر من فوق الأرض في زمان مبكراً جداً، لا منذ ستة آلاف أو ستين ألف أو مئة وستين ألف سنة، بل قبل ذلك بأحقاب. وفي سنة ١٨٦٣ سقط آخر معاقل اللاهوتيين عند ما أعلن «سير شارلز ليل» في كتابه «قدم الانسان» رجوعه من فكرته القديمة، وعبر عن ذلك في جمل مثيرة لأسمى العواطف الإنسانية.

إن المؤيدين للنظرية القائمة على نص الكتب المقدسة، أولئك الذين يدعون بالمدونات ومارسوه زماناً طويلاً، قد انقذوا في النهاية مدافعين عن قضية اكتنفتها أخطار جمة شديدة. ولقد تنقلوا في دفاعهم من موقع الى موقع. وقد يتفق أن يكون الجهد الذي بذله «جوس» في انجلترا سنة ١٨٥٧، هو أشق الجهود وأحقها بالعطف والاشفاق. فقد أدى هذا الرجل لعلم الحيوان خدمات جليلة،

ولكنه حصر كل همه فيما بعد، وعبأ كل جهده في تأييد التفسير الحرفي لسفر التكوين، وما أقام اللاهوت عليه من شامخ البناء. وفي كتابه المسمى «السُّرة»[1] عاد كرَّة الى النظرية التي قال بها قبل «غراقيل بن» فنمَّاها بأن أضاف إليها مبدأ آخر سماه ,, خطأ التاريخ ،، ملخصه أن كل الأشياء قد خلقت بيد الله القادر في ستة أيام محدَّدة، لكل منها ,, مساء وصباح ،، وان كل تفاصيل الخلق قد أصبحت كائنة بعد ان لم تكن في برهة واحدة. ولما كان قد آمن بما قرر دكتور ,, أور ،، Ure إذ قال بأنه ,, لا العقل ولا الوحي يبرران أن نَمُدَّ أصل النظام المادّي من حيث الزمان إلى أكثر من ستة آلاف سنة من أيامنا الأرضية ،،[2] فقد مضى ,,جوس،، يقول بأن البراهين القائمة على حدوث تقلصات وتغايرات في طبقات الأرض والصخور والمعادن والحفريات إنما هي ,, ظواهر ،، لا أكثر من هذا ولا أقلّ. ومن هذه ,, الظواهر ،، التي خلقت معاً وفي برهة واحدة، تلك الأخاديد الجليدية والخدوش التي ترى على الصخور، والعلامات الدالة على تراجع الصخور كما يرى في ,, نياجرا ،، والطبقات الملتوية والمصدَّعة بأنواعها ومختلف صورها في جميع أنحاء الأرض، ومعدان الحمم التي قذفتها البراكين المندثرة، وطبعات أقدام الطير والزواحف في الصخور، والبقايا نصف المهضومة المخلفة عن الحيوانات الضعيفة في معدات الحيوانات الحفرية الكبيرة، والعلامات التي تركتها أسنان الضباع في العظام المتحجرة المتناثرة في كثير من الكهوف، وهيكل الموث السيبري المحفوظ في ,,متحف بطرسبرغ ،،[3] بما في لحمه من آثار أسنان الذئاب — كل ذلك بما يحتوره

---

(١) Omphalos من كلمة يونانية Oupalos ومعناها السرة أو الحبل السري

(٢) Prochronism : من اليونانية Xpo = قبل + Xponos = أي زمن ، ومعنى المصطلح خطأ في التاريخ برد الشيء الى زمان قبل زمانه المعترف به . (٣) الآن لننغراد .

من الفجوات الزمانيـة التي تفصلها ، أراد «جرس» أن يحمل العقـل البشري ويلزمه أن يسلم بأنها خُلقت في برهة بعينها كأنها لمحٌ بالبصر. أما مقـدمة الـكتاب فان فيها كثيراً مما يثير ويهز العاطفة . وقد اختتمها بدعاء توسل فيه أن يكون كتابه سبباً في أن يقع التفاهم بين العلم والدين وان «إلـه الحق إذا شاء أن يكون لـكتابه هذا الأثر ، وقضت مشيئته ؛ فله الحمد والمجد والملـكوت» . قال في ختام الكتاب : «لقد طهر الحقل ومُهد الطريق للشاهد الأعلى الذي يطل علينا من الناحية الأخرى من العالم،والذي يقول في شهادته — «في ستة أيام صنع «يهوه» الأرض والبحر وكل ما فيها» . وقد طبع هذه العبارة بحروف كبيرة ، كأنما هو يشير الى إنها آخر ما يقال في تي كل الحقائق الجيولوجية التي وصل إليها العلم .

في أنحاء أخرى من أوربا بذلت جهود اليأس في زمن متأخر على الزمن الذي وقع فيه ما قصصنا ، وقد رمت جميعها الى تأييد النص الحرفي للـكتب المقدسة باصطناع نظرية هي من جميع الوجوه أعجب النظريات التي أريد بها مقاومة العلم. ومن أجل أن تصب هـذه النظرية في قالب يلائم الضرورات التي استجدّت في المعرفة ، عمد اللاهوتيون الى متن غامض «لايرب» أشير فيه الى النار التي هي تحت الأرض ، وتصورات تأمليـة غير واضحة المعـالم نشرها «همبولد» و «لابلاس» ، ومزج هـذا كله بجرعات من المأثورات العبرانية ، ومن هـذا المزيج استخلص «شوبرت» فكرة محصلهـا أن «مناطق النفوذ والفورات الشيطانيـة» التي كانت تغشى من قبل عالمنا هـذا ، قد رمت به في وهدة العماء العصرف ، ثم تجدد خلقه ثانية ليتخلص من هذا العماء بطريقة شرحها سفر التكوين شرحاً بيناً دقيقاً . أما «روجون» فقد جعل الارض نجماً من نجوم «الصباح»

التي ذكرها « أيوب » وأن « إبليس » وأتباعه قد ردّوا هذا النجم الى العماء والفوضى الصرف ، ومن ثمّ أخذت الارض تتنشأ ثانية بمقتضى المبادىء التي قررتها النظرية الدينية (١) أما « كورتز » فقد ذهب مذهباً عجباً ، فقال إن الاضطرابات الجيولوجية إنما ترجع الى مقاومة الشيطان في ذي القدرة العلوية عندما أراد أن ينقذ الكون من العماء . كذلك صاغ « دليتشه » نظرية أخرى ألبسها ثوباً جعلها أقرب الى الفكرة المدرسية . ولكن مظاهر الجهد واليأس لم تظهر في شيء من هذا كله ظهورها في أقوال دكتور « وسترماير » التي نشرها في « ميونخ » بعنوان — « براءة العهد القديم من المعارضات الكونية الجديدة » والعبارة التي ننقلها فيما يلي كافية لاظهار متجهه وفكرته : قال : « من أجل أن يثمر رفّ (٢) الروح القدس على سطح مياه العمق الأعظم ، فبدأت قوى الخلق تتحرك وتضطرب . ورأى الشياطين الذين قطنوا عالم الظلام البدائي واتخذوه لهم مقاماً وملكاً أبديّاً ، إنهم سوف يطردون من ملكوتهم هذا ، أو على الاقل أن موطنهم سوف يختزل ويصغر ، فحاولوا أن يفسدوا الفكرة التي وضعها الله للخلق ، وأن يبذلوا أقصى ما بقي لهم من قوّة وجهد ، حتى يعرقلوا ، أو على الأقل يشوّهوا ، الخلق الجديد » . وبذلك ظهر في هذا العالم : « تلك الهولات المخيفة المخربة ، التي هي تشويهات وتحريفات لنظام الخلق السويّ » . ومنها تخلفت الآثار الحفرية . ثم يمضي دكتور و « سترماير » مثبتاً — « أن أجيالاً برمتها خلقها الله ثم وقعت فريسة مفاسد الشيطان ووساوسه ، ولذا كان من الضروري أن تزول تلك الاجيال وتندثر » . ثم يقول — « وفي عمل ستة أيام استطاع الله أن يجعل الشيطان

---

(١) نظرية لابلاس في نشوء النظام الشمسي

(٢) من عبارة في سفر التكوين

يلمس قدرته الشاملة ، ويرد محاولات « إبليس » تعيسة فاشلة ».

على هذه الصورة كان الهجوم الأخير في ألمانيا على قلاع العلم الجيولوجي وائتماماً بهذه النزعة وبغيرها من النزعات المماثلة لها ، حاول « يوهان سلنبر شلاج » سنة ١٨٧٠ أن يقيم قواعد الجيولوجيا على طوفان نوح ، فواجه من الصعاب ما حمله على أن يقول في عبارات مؤثرة ، إنه يود ، لو استطاع ، أن يرجع الى نظرية أن الحفريات هي « ألهيات الطبيعة ».

غير أن أعظم الجهود التي بذلت في سبيل أن يظل العلم الجيولوجي في حيز النصوص المقدسة ، قد وقع في زمان أحدث من ذلك . في سنة ١٨٨٥ اقتطع مستر « غلادستون » من وقته جزءاً صغيراً منه ليخوض المعركة منتصراً لنص سفر التكوين على المقررات الجيولوجية ، برغم مشاغله وواجباته بوصف أنه الزعيم البرلماني في انجلترا .

بحسب الظاهر لاح جهده ذلك كأنه الى التطفل أقرب شيء ، فإنه اعترف في مفتتح كلامه أنه من حيث العلم « مجرد كل التجرد من تلك المعرفة التي تعمل في ثناياها الثقة واليقين » وسرعان ما دلت تحقيقاته وبراهينه على أن اعترافه كان جديّاً من جميع الوجوه ....

غير أن « غلادستون » كان يتحلى بصفات أخرى قد يمكن أن تنتج شيئاً . كان فارهاً في صياغة الجمل ، بارعاً كل البراعة في تكييف معاني الكلمات المفردة بحيث تلائم الضرورات المتضاربة عند الجدل ، قادراً كل القدرة على إقامة بناء شامخ من البرهان على أصغر الحقائق وأدقها ، ميسّراً له أن يزيح من طريقه الحقائق المزعجة التي تعترضه بقوة تفسيرية خارقة . ولقد كانت قراحته في ذلك مضرب المثل ، حتى أن ساخراً في صحيفة لندنية ، قد نعت رجلاً متزوجاً من

امرأتين ، أن يتوسل الى مستر „ غلادستون ،، عساه يمنّ عليه بإزاحة إحدى زوجتيه .

أقام „ غلادستون ،، صرحه اللاهوتي الجيولوجي على دعوى أن في سفر التكوين „ تقسيماً رباعيّاً رتيباً ،، يتناول الأحياء ، وإنه قد „ وضع في تتابع زماني نظيم ،، وان هذا النظام وذاك التتابع قد رتبا على الصورة التالية :

« أولا : مخلوقات الماء . ثانياً : مخلوقات الهواء . ثالثاً : مخلوقات الأرض من الحيوان . رابعاً : مخلوقات الأرض مختتمة بالإنسان » .

الخطوة الثانية التي خطاها « غلادستون » هي أن يؤلق في ثنايا بحثه فرضاً يقوم على الأساس السابق ، كان في ظاهره بريئاً لاخطر فيه ، ومحصله أن هذا التقسيم „ قد أيده البحث الطبيعي في هذا العصر ، حتى لقد يمكن أن يتخذ على أنه نتيجة مفروغاً منها وحقيقة لا مبدّل لها ،، .

وراح في النهاية يقيم على هذه الأسس برهاناً مقتطعاً من الملابسات التي اصطنعها وربط بها بين الكتب العبرانية المقدسة والحقائق التي كشف عنها العلم تأييداً لذلك التقسيم الرباعي وما أقام عليه من نتائج ، ومن هذه الطريق سهل عليه أن يصل الى الغرض الذي رمى إليه وبه توّج بناءه الشامخ المشمخر ، ونعني بذلك قوله إن كاتب سفر التكوين „ كان مزوداً بعلم قدسي ،، .

على هذه الصفة كان هيكل البناء الذي أقامه „ غلادستون ،، ولقد نمّقه وزينه بتلك الخطابيات التي برّز فيها وكان فيها من مقدمي أصحاب الفن والابتكار ، فأشرف بناؤه بهامة الجبار على „ أوساط الناس ،، وبهرهم بجماله وجلاله القاهر — فكان أشبه بقلعة صينية في القرن التاسع عشر بنيت واجهتها بالخزف الثمين ، وسلحت بالنبال .

وسرعان ما ظهر أن متانة هذه القلعة كانت وهماً . فلقد اقتحمها الأستاذ « هكسلي » يبحث آثار الفكر بما فيه من الاعتدال ، وبما فيه من الحقائق الجارفة والبراهين المقنعة . وكان « هكسلي » رئيساً للجمعية الملكية ، وأعظم ثقة في المسائل العلمية غير منازع ممن عاصروا ” غلادستون “

أما الدعوى الأولى في أن الكتابات المقدسة زودتنا ” بتقسيم رباعي “ أو ” أقسام أربعة “ خلقت ” بترتيب زماني نظيم “ فلم يهتم الأستاذ هكسلي بنفيه .

أما دعوى ” غلادستون “ الثانية اذ يقول بأن هذا التقسيم الرباعي الرئيس وحدوث الخلق في ترتيب زماني نظيم ... قد ثبتت صحته في زماننا من طريق العلم الطبيعي حتى لقد يمكن أن يتخذ على أنه نتيجة مفروغاً منها ، وحقيقة لا مبدل لها — فقد أظهر الأستاذ ” هكسلي “ أنه لا وجود على الاطلاق لذلك ” التقسيم الرباعي “ ولا ” للترتيب النظيم “ وإنه على الضد من قول ” غلادستون “ بأن مخلوقات الماء والهواء والأرض قد خلقت متعاقبة على الصورة التي صوّرها ، تدل كل الشواهد التي وصل إليها علمنا أنها لم تكن كذلك ، وان توزع الحفريات في الطبقات المختلفة ، يبرهن على أن بعض أحياء الأرض قد تأصلت قبل أحياء الماء . وإنه كان هناك تمزج وتخالط بين مخلوقات البحر والبر والهواء ، مما يهدم ذلك ” التقسيم الرباعي “ ويهدم القول ” بالخلق في ترتيب زماني نظيم “ ؛ أما قول ” غلادستون “ الذي استند فيه الى المتون المقدسة من أن نظريته قد أيدها البحث العلمي حتى لقد يمكن أن تتخذ على أنها نتيجة مفروغاً منها وحقيقة لا مبدل لها — ” فقد أظهر ” هكسلي “ أن ذلك مناف للحقائق المعروفة لكل من له إلمام بأوليات العلم الطبيعي “ . أما عمدة مستر « غلادستون » في هذا البحث ، وهو العلامة « كوفيه » فلا يصح أن تتخذ أقواله ثقة يعتد بها ، لأنه مات قبل

خمسين سنة وكان العلم الجيولوجي لا يزال في طفولته ، ثم تحدى مستر « غلادستون » أن يأتيه بمعاصر حجة في العلم الجيولوجي قد يؤيد وجهة نظره التي أقامها على المقدسات . ولما حاول « غلادستون » في ردّه على « هكسلي » أن يؤيد وجهة نظره مستنداً الى أشياء انتحلها على الاستاذ " دانا " ، لم يجد " هكسلي " من صعوبة في أن يثبت أن ما عزاه " غلادستون " الى ذلك الأستاذ الكبير ليس له أساس البتة .

في الوقت الذي استطاع فيه الأستاذ " هكسلي " أن يهز دعائم البناء الذي أقامه " غلادستون " ببينات العلم ، ظهر خصم جديد حمل على نقضها ببينات من سفر التكوين نفسه . فان المحترم القانون " درايفر " أستاذ الجيولوجيا في جامعة اكسفورد مضى يناقش الأمر في ضوء التفسيرات للقلسة نفسها . ولقد تناول أول شيء الجدول المقارن الذي وضعه سير " ج . د . دوسون " الذي حاول أن يظهر به دعوى التقابل بين الترتيب الخلقي في المقدسات في العلم الجيولوجي فقال : إن المنظومتين على تناقض كامل . فان ما يسجله علم الجيولوجيا لا يحتوي على ما يدل على عصور محدّدة تقابل " أيام " سفر التكوين . كذلك يذكر سفر التكوين أن خلق النبات قد تمّ قبل أن تظهر الحياة الحيوانية في حين أن الجيولوجيا قد أثبتت أنهما ظهرا متعاصرين ، إن لم تكن الحياة الحيوانية قد سبقت الحياة النباتية . وفي سفر التكوين تظهر الطيور مع المخلوقات المائية ، وتتقدم كل الحيوانات البرية . أما بينات الجيولوجيا فقد تثبت أن الطيور لم يظهر لها من أثر إلا في عصر بعد ظهور المخلوقات المائية (بما فيها الأسماك والبرمائيات) وتكاثرها ، وانها قد سبقت بأنواع أرضية كثيرة وبخاصة من الحشرات والأحياء الزاحفة . أما ما تقرره الرواية الموسوية من وجود الزروع قبل خلق الشمس فإن

„ درايفر " يقرر „ أن التوفيق بين هـذه الرواية والمعلومات العلمية لم يقم عليه أحد بعد " . ثم يقول „ مما سبق أن أفضنا فيه من القول ، نجد أنه لا سبيل بنا لغير نتيجة واحدة ، هي أن قراءة نص سفر التكوين تحدث في العقل أثراً واحداً هو المناقضة لموحيات العلم .

***

بذلك تهدّم بناء „ غلادستون " الذي حاول أن يشيده على المقدسات مع „ تقسيمه الرباعي الرئيس " الذي استمده من سفر التكوين ، ومحاولته التوفيق بين رأيه هذا والحقائق التي قررها علم الجيولوجيا . لقد هدم „ هكسلي " الجزء العلمي في ذلك البناء ، ونقض „ درايفر " أسسه الانجيلية ، وبذلك تقوّضت آخر القلاع اللاهوتية إزاء ذلك العلم .

من حيث المعارضة لمثل هذه المحاولات نأتي هنا على آراء رجل فذّ من رجال الدين ، من الجائز أن يكون قد عمل على انقاذ كل ما هو جوهري في „ النصرانية " في العالم الذي ينطق الانجليزية أكثر من كل رجال الكنيسة . فإن الأسقف دكتور „ أرثر ستانلي " كان ذائع الصيت محبوباً في القارتين . ولقد قال في عظته التي ألقاها بعد دفن سير „ شارلز ليل " : — „ إنه لمن البين الآن لكل النابهين من المكبين على درس الأناجيل أن الاصحاحين الأول والثاني من سفر التكوين يتضمنان قصتين عن الخلق تناقض احداهما الأخرى تمام المناقضة في التفصيل والزمان والمكان والترتيب . ومن المعروف أنه عندما بدأ العلم الجيولوجي ينشأ وينمو ، قد اعتوره محاولات رمت الى التوفيق بينه وبين نص المقدسات . وكان هنالك أسلوبان للتوفيق بين الانجيل والعلم ، ولقد سقط كلاهما سقوطاً كاملاً : الأول انحصر في اخراج كلمات الانجيل عن معانيها الأصلية وجعلها تتكلم بلغة العلم . ثم

تكلم في مثال من أوالي الأمثلة على ذلك هو محاولة اخراج معنى كلمة «لا» (١) في سفر اللاويين عن معناها فقال: «ان هذا هو أول مثل على إفساد الانجيل ليوافق حاجات العلم. ولقد تبع ذلك جهود ابتغى بها باذلوها ان يلووا فصول سفر التكوين ليًّا حتى يوافق آخر ما وصل إليه علم الجيولوجيا — فقالوا بأيام ليست هي بأيام، وأمسيات وأضاحي ليست هي بأمسيات ولا أضاحي، وطوفان ليس هو بطوفان، وسفين ليست هي بسفين.

بعد أن نقع على مثل هذا القول التافه لنا أن نتساءل: أيهما أكثر تقوية لروح النصرانية لتؤثر أثرها في القرن العشرين: أكلمات قوية نبيلة أمينة جريئة، ككلمات دكتور «أرنر ستانلي» أم تلك السفسطات التي تحمل في تضاعيفها عوامل السقوط وجراثيم الانحلال، كتلك التي فاه بها «غلادستون»؟

إن عالم العقل يسير الآن في طريق يوضح له أن الوحي العلمي في الخلق وغير الخلق، هو الذي يوائم بين عظمة العالم وعظمة خالقه، بارىء الأكوان. وكذلك يرى العقل من طريق العلم أن الوحي لم يكف فعله ولم ينقض زمنه، وأن رسل ذلك الوحي وحوزيه، ليسوا أولئك الذين يعملون على أن يحوروا من كلماته لتلائم العقائد الجامدة وآراء أصحاب النحل، وانما هم أولئك الذين يضحون بأنفسهم قانتين للبحث وراء الحق، موقنين بأن هنالك «قدرة» كونية فيها من العقل والنهى والرشاد ما يؤيد البحث وراء الحق وينصره ويحميه؛ ليصبح الحق وقول الحق، مفيداً في هذه الحياة الدنيا.

إسماعيل مظهر

---

(١) والارنب لانه لا يجتر لكن لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم «لاويين ١١ : ٦